مفهوم انتاج اللغة وتكونها لدى المدرسة البنيوية/السلوكية، والمدرسة التحويلية/التوليدية

Language production and formation in school Structuralism / behaviorism, and the transformative / generative school

حسن محمد أحمد محمد
السودان[1]
tleap2@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/25 تاريخ القبول: 2020/06/08 تاريخ النشر: 2019/11/06

ملخص:

بما أن اللغة مضمار فسيح يسمح للجميع بالتباري فيه، فقد سعى الباحث، من خلال هذه الدراسة، إلى تناول العلاقة بين اللغة كإفراز أو انتاج عقلي صرف، وبين اللغة كتعبير نفسي شعوري، فهي دراسة لغوية ونفسية في ذات الآن، اهتمت بأفكار علماء اللغة من جهة وبآراء علماء النفس من جهة أخرى؛ وبناء عليه فالدراسة تحصر اطارها في مدرستين لغويتين كبيرتين هما: المدرسة البنيوية، والتي تبنت فكرة اكتساب اللغة مثلها مثل أي سلوك آخر. أما المدرسة التحويلية/التوليدية، فقد تبنت مفهومًا مغايرًا للبنيوية، فهي ترى أن اللغة موجود في الدماغ بشكل غريزي فطري.

وقد اشتمل هذا البحث على تقدمة توضيحية، ومن ثم عمل الباحث على طرح ومناقشة عدة موضوعات وقضايا، جمعت بين اللغة وأساليب تكوينها، وبين الشعور النفسي المصاحب للغة كتعبير عن النفس وحاجاتها، وقد تضمن متن البحث الموضوعات التالية: السلوك الاتصالي، واللغة، وعلم الإنسان اللغوي، وعلم اللغة، مفهوم اللغة بين المدرستين، المدرسة البنيوية (Structural Linguistics)، الفلسفة وعلم النفس، علم اللغة التحويلي/التوليدي (transformational Linguistics)، ثم خاتمة البحث: والتي ضمت نتائج وتوصيات الدراسة.

[1] المرسل المؤلف: حسن محمد أحمد محمد ، الإيميل: tleap2@hotmail.com

المنارة للاستشارات
ww

تقدمة:

إن من العلماء، أمثال (whorf) صاحب نظرية (النسبية اللغوية ــLinguistic Relatiuity)، من اعتبر أن خصائص اللغة التي تتحدث بها جماعة معينة هي التي تحدد وسائل تفكير تلك الجماعة وتصورها للواقع الذي تعيش فيه[1]. كذلك وصف المستشرق آرنست رينان، صاحب كتاب (التاريخ العام للغة السامية)، اللغة العربية فقال: من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى وعند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولقد كانت تلك اللغة مجهولة بين الأمم ولكنها من يوم أن عرفت ظهرت لنا في حلل الكمال. إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر، حتى أنها لم تعرف لها في طور من أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد أن نعرف من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شيئًا لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة[2].

لقد انطلقت مدرسة علماء اللغة البنيوية من مفهوم أن اللغة مكتسبة؛ أي أن الصغار يكتسبوها ويتعلموها بالتقليد والمحاكاة للكبار؛ وقد استعانت هذه المدرسة بأنصار منهج علم النفس السلوكي الذين دعموا برنامج التعليم المبرمج والموجه، دون النظر إلى قدرات الفرد وإمكاناته الابتكارية، وكان على رأس أولئك النفر عالم النفس الأمريكي سكنر والذي، بلا شك، تأثر، في مفهومه لإنتاج اللغة، بآراء كل من: عالم النفس الأمريكي جون واطسون[3]، وعالم النفس الروسي إيفان بافلوف[4]؛ والأخير يعتقد، جازمًا، بأن كل عادات الإنسان، التي تشكل سلوكه، مكتسبة، حتى العقلية منها. أما هاريس وتشومسكي، وهما عالمان أمريكيان جاءا من خلفية لغوية بحتة، في مضمار دراسة علم اللغة، فيخالفان وجهة نظر المدرسة البنوية/السلوكية، فاللغة، من وجهة نظرهما، ليست مكتسبة ولا متعلمة، وإنما هي فطرية، وذلك من خلال ما قدماه من بحوث ودراسات أجرياها، في مجال تركيب الجملة، توصلا، من خلالها، إلى نظرية (النحو الكلي أو التحويلي أو التوليدي)، وخلاصتها أن كل إنسان يولد وهو مزود بآلية تعلم اللغة منذ مولده، وقد استند تشومسكي على أن كل إنسان يعرف المبادئ العامة للغة بالفطرة، وأن تلك المبادئ متوفرة في كل اللغات، بحيث تمثل قواعد شاملة لها، أي أن اللغة، لدى تشومسكي، ملكة فطرية مبررًا هذا الإتجاه بوجود سمات نحوية داخل، كل لغة، تؤكد، وبشكل بدهي، على فطرية اللغة[5]. ويعزز هذا الاتجاه ويدعمه، أن أي تلف في خلايا الدماغ، بسبب الأورام أو التهابات والسكتات الدماغية، يكون له تأثير واضح في بعض الوظائف الجسدية والتي من بينها الكلام، حيث يعاني المرضى من صعوبة الكلام وفهمه[6].

ـ مشكلة البحث:

المنارة للاستشارات
ww

تتناول هذه الدراسة البحثية مفهوم اللغة، أما إذا شئنا الدقة فإن الفكرة الأساسية لموضوع هذه الدراسة فهو دراسة مفهوم انتاج أو تكوّن اللغة. وهي محاولة للإجابة عن السؤال التالي: هل اللغة مكتسبة (متعلمة)، كما يراها علماء اللغة البنيويون، الذين يتزعمهم السويسري دي سوسير، مدعومين، فيما بعد، بعلماء النفس السلوكيين: واطسون، بافلوف، وسكنر، أم أن اللغة، كمفهوم، موجودة في الدماغ بشكل غريزي فطري آلي، وهذه الآلية موجودة في كل دماغ بشري، كما ينظر إليها كل من هاريس وتلميذه تشومسكي مؤسسي مدرسة النحو التحويلي/التوليدي؟.

. أسئلة البحث:

1- هل اللغة سلوك مكتسب ومتعلم، وقابل للتعديل، أم أن لها مرزها وموقعها في الدماغ؟

2- ما العلاقة بين اللغة، كإفراز عقلي، واللغة ولغة المشاعر والأحاسيس؟

3- هل اللغة كائن حي، أم أنها مجرد وعاء جامد لا حس فيه ولا شعور؟

. الأهمية:

إن أعظم وأجل ما أبدعته القريحة الإنسانية، منذ نشأتها، هو ابتكارها للغة كوسيلة للتواصل والتعبير عن حاجات النفس ومكنوناتها قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) الروم: 22.

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة: 31.

يقول العقاد: إن جهاز النطق الإنساني عبارة عن أداة موسيقية وافية، لم تحسن استخدامها على أوفاها أمة من الأمم القديمة والحديثة كما استخدمتها الأمة العربية؛ لأنها انتفعت بجميع المخارج الصوتية في تقسيم الحروف[7].

المنارة للاستشارات

ww

- الغايات والمرامي:

لكل بحث أو دراسة غاية أو غايات تهدف إلى تحقيقها، من خلال مجريات البحث، والهدف من هذه الدراسة هو العمل على دراسة نظريتين لغويتين، هما، المدرسة البنيوية، والمرسة التوليدية، حيث تعبر، كما أسلفنا من قبل، كل منهما عن فلسفتها الخاصة بها، في مضمار تكون وتطور اللغة باعتبارها وسيلة فعالة للتفكير في الوجود، والتعبير عن خلجات النفس الإنسانية.

- السلوك الاتصالي:

يستخدم السلوك التواصالي في مجالات عديدة ومتنوعة؛ غير أن أكثرها دراسة وبحثًا ذلك الذي يتصل باللغة، سواء أكانت مقروءة (أحرف) أو رمزية (اشارات)، أو منطوقة مسموعة (أصوات)؛ ويعود ذلك إلى أن اللغة تعد من أبرز وسائل التواصل لدى الإنسان[8]، فاللغة وسيلة تواصلية تستخدم لتلبية الحاجات والتعبير عن المشاعر ونقل الأفكار، وهي، في الأساس، تهدف لتوفير أرضية مشتركة للتواصل بين الناس[9]، كما شكلت الأصوات المنتظمة (لغة التخاطب)، أبرز سمة تواصلية استخدمها البشر للتواصل في ما بينهم[10]، والتواصل هو الربط بين طرفين أو أكثر، سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أو الجماعي، كذلك يمثل التواصل نوعًا من النشاط التفاعلي العملي؛ حيث يعمل الفرد من خلال نشاطه التفاعلي، على إيصال رسالة، تشتمل على مضمون، إلى مستقبل (جماعة أو فرد)، ويتم ذلك التفاعل من خلال وسيلة اتصالية. وبهذا يمكن القول بأن عملية التواصل تتضمن مجموعة من العناصر أو الخطوات، لابد من توفرها في السلوك التواصلي، وهي:

1- نشاط تفاعلي (فعل).
2- متصل (مرسل).
3- رسالة.
4- متلقي (مستقبل).
5- هدف (محتوى).
6- وسيلة (قناة).

يعني الاتصال، لدى البعض، نقل لمعلومة/معلومات (Information)، يتبادلها الناس بينهم؛ مستخدمين، في ذلك حواسهم الخمس الظاهرة: اللمس، الشم، البصر، السماع، الذوق[11] . بيد أن الناظر للتواصل/الاتصال[12] (Communication) يجد أنه يعني أكثر من ذلك بكثير، فهو سر الحياة الإنسانية ولبها الذي لا غنىً عنه؛ وتعود تلك الأهمية إلى ما يمكن تحقيقه من مضامين وقيم أخلاقية وإنسانية عبر

المنارة للاستشارات
ww

التواصل؛ لأن الاتصال/التواصل ليس مجرد نقل (Transshipment) للمعلومات، وإنما هو تحقيق المشاركة (Participation)، فالمصطلح الأول يعني المشاركة (Participation) أي نشاط تفاعلي، أما الثاني (Transshipment) فهو مجرد نقل وينتهي معناه عند المصدر.

يرى المؤرخ والكاتب الإنجليزي ويلز (H.G. Wells): أن ما يحدث من تقدم وتغيير في حياتنا الاجتماعية هو عبارة عن وسائل يستخدمها الفرد أو الجماعة من أجل خلق بيئة تواصلية تتوافق والحياة الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد والجماعات، بدأت بالألفاظ وربما الإشارات، ثم التسجيل والتدوين، تلا ذلك ظهور الطباعة، ثم جاءت الآلة، والآن نحن نتسنم قمة التقدم التقني ممثلاً في شبكة الإنترنت؛ الأمر الذي أدى إلى بروز مصطلح القرية العالمية (Global Village)[13].

كذلك ترجع أهمية الاتصال إلى أهمية ما يقوم به الإنسان من أنشطة فلسفية وعقلية تبعث به على التفاعل الاجتماعي؛ وذلك بناءً على تواصله مع المحيط الاجتماعي (البيئة)، حيث ترتفع وتتسامى، القيمة الفلسفية للبعد التواصلي، بين الأفراد والجماعات، ويرتبط ذلك بالدور التفاعلي الذي تلعبه الشخصية الاجتماعية في محيطها الاجتماعي، فمن خلال التواصل نلاحظ أن ثمة تفاعل قد تمّ؛ وعليه يتأثر الفرد بالسلوك الاجتماعي:

1- تتم عملية بناء الشخصية الاجتماعية للفرد.
2- يتلقى الفرد ثقافة مجتمعه ويتشربها من خلال التواصل.
3- الرسالة تشتمل على محتوى يرمي للتأثير في المتلقي.
4- من خلال التواصل؛ تنشأ علاقة تفاعلية بين أفراد المجتمع والمجتمعات الأخرى.
5- هناك عدة طرق للتواصل: اللغة المنطوقة، الإشارات (Signals) والرموز (Symbols)... وغيرها.
6- يقوم الاتصال بتنمية الحس النفسي للجماعة من خلال تنامي العلاقات والروابط: التفكير، الأحاسيس والمشاعر، الإدراك والتصور، نمو الوعي الادراكي، ...
7- تهتم المجتمعات بالتواصل الإيجابي من خلال بناء الأسس التربوية للمجتمع؛ فالمؤسسات التربوية والتعليمية تترك أعظم الأثر في البنية الاجتماعية.

المنارة للاستشارات
ww

.اللغة:

اللغة، عند ابن منظور،: اللسن، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ... والجمع لغات ولغون ...، والنسبة إليها لُغَوي (بضم اللام) ولا تقل: لَغوي (بفتح اللام)، قال أبو سعيد: إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم؛ أي اسمع من لغاتهم من غير مسألة...، لغا فلان الصواب وعن الطريق إذ مال عنه، قال ابن الأعرابي: واللغة أخذت من هذا؛ لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. واللغو: النطق. يقال هذه لغتهم التي يلغون بها، أي ينطقون. وفي الصحاح (اللغة) أصلها لغي أو لغو وجمعها لُغىً مثل بُرَة وبُرَىً و(لغات) أيضًا[14].

واللغة، بمعناها الأشمل والأعم، مجموعة من الرموز تعورف على استخدامها في بيئة اجتماعية ما للتواصل بين أفراد تلك البيئة الاجتماعية، وبذا تكون اللغة، نظام صوتي رمزي دلالي تستخدمه الجماعة، في ما بينها، في التفكير والتعبير والتواصل ...؛ باعتبار أن اللغة منهج حياة اجتماعية وفكرية وثقافية[15].

واللغة لدى علماء علم الأصوات[16]، مجموعة من الأصوات ينتجها الإنسان بواسطة جهازه الصَّوتي (جهاز النطق)، الذي يُولد مزوَّدًا به، وهو يتكوَّن، أساسًا، من التجويف الفمي والأنفي والحنكين والرئتين والقصبة الهوائية ثم الحلق والحنجرة والحبال الصوتية (الأوتار الصوتية) واللهاة واللسان، والتجويف البطني. والطريقة التي يُنتج بها الجهاز الأصوات، تنتج عن احتكاك الهواء بين العضلات فيُسمَع لها رنين، يخرج كُلّ مرَّة على شكل مُغاير للمرّة الأخرى، وهذا الهواء تدفعه الرئتان إلى المنطقة التي يُراد أن يخرج الهواء منها، فينتج بذلك الصوت.

ويقوم علماء الأصوات بدراسة شيئين هما: مخارج الأصوات أي تحديد منطقة كل صوت على جهاز النطق، ويسمّون الصوت بحسب مخارجه: لثوي، وأسنانيّ، وشفوي، ولهويّ ... وعقب ذلك تأتي مرحلة ثانية هي مرحلة وصف الصوت بناءً على ملاحظة الطريقة الاحتكاكية للهواء بعضلات جهاز النُّطق، وتختلف وسائل اخراج الصوت (طريقة احتكاك الهواء وطريقة وضع العضو/الأعضاء المشارك/ة في أداء الصوت) في نفس المخارج، ويؤدّي ذلك إلى أن يتصف الصّوت بسمات مختلفة، تحدّد سماته عند النطق به، فيكون الصوت، مثلاً، مهموسًا، ومجهورًا، ورخوًا، واحتكاكيًا، وانفجاريًا ...، أما إذا أردنا أن نوضح، باختصار، فكرة انتاج الأصوات (اللغة المنطوقة) نجد أنها تعتمد على الهواء المندفع من الرئتين عبر أجزاء الجهاز الصوتي، حيث يمثل كل جزء منه مخرجًا من مخارج الأصوات المكونة للغة.

ويبدأ الكلام وينتهي بخطوات خمس، أو ما يمكن أن نسميه بالسلسلة المتتابعة بشكل مترابط، بحيث يتبع بعضها بعضًا دون انقطاع؛ الأمر الذي ييسر عملية التواصل بين المرسل والمستقبل [17]:

المنارة للاستشارات
ww

1- تسبق الكلام عمليات انفعالية نفسيَّة وأخرى ذهنية عقليَّة تتم في تلافيف وخلايا دماغ المتكلم قبل بدء الكلام، واثنائه، تهدف إلى التأثير في المستقبل (المستمع).
2- يقوم الجهاز الصوتي بعملية إنتاج الكلام.
3- تقوم موجات الهواء بنقل الذبذبات الصوتية من المتحدث إلى أذن المستمع.
4- تتم عملية معالجة داخلية لدى المستقبل تهدف إلى فك شفرة رموز الكلام.
5- هناك انفعالات نفسية وعمليات عقلية لدى المستقبل (المستمع)، تقابل تلك التي تحدث عند المرسل (المتكلم).

وتبين النقاط الخمس، السالفة الذكر، أن ثمة تلاق بين علم النفس وعلم اللغة، ويمكن أن نلمس ذلك التماس في النقطتين الأولى والخامسة، واللتان تركزان على الانفعالات النفسية والعمليات العقلية لدى كل من المتكلم والمستمع؛ وهذا يتطلب أن يكون هناك تكامل وتنسيق بين جهود علماء النفس وجهود علماء اللغة، وألا يشتغل أحدهما بمعزل عن الآخر في مجالات البحوث والدراسات اللغوية، فالإنسان ليس بآلة صماء باردة، وإنما كتله متشعبة ومتشابكة من المشاعر والأحاسيس والانفعالات النفسية، وجميعها ناتجة عن تلك العمليات العقلية التي تقوم بها خلايا الدماغ؛ فالإنسان يستخدم اللغة للتواصل مع الآخرين؛ وذلك بهدف قضاء متطلباته واحتياجاته وحل المشكلات التي تواجهه، سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أو الجماعي، حيث يحتاج كلاهما إلى القيام بنشاطات متعددة ومتنوعة: سياسي، إداري، اقتصادي، علمي ... ، إذ من خلالها (اللغة) يستطيع الإنسان التعبير عن مكنونات نفسه وخلجاتها الدقيقة والكامنة في تلافيف الدماغ ومكامن الصدور (القلب) من، عمليات عقلية ذهنية، كالتفكير، الانتباه، التذكر...، وأخرى عاطفية تتضمن العواطف والمشاعر الحسية ...، لا شك في أن اللغة تمثل ذلك الوعاء الذي حفظ لنا التراث والحضارة الإنسانية منذ القدم، إذ من خلالها يتم التواصل بين السابق واللاحق من الأجيال. إذ إن اللغة كائن حي وركيزة أساسية وعنصر في غاية الأهمية في مضار النشاط الاجتماعي، وقد لا ينازعنا الشك في أن اللغة تمثل ظاهرة اجتماعية في منتهى الدقة والتناسق، لاسيما وأن هناك ثمة علاقة وطيدة بين اللغة، كظاهرة اجتماعية (علم اللغة الاجتماعي)، والظواهر الاجتماعية المختلفة، فهي اللسان الحقيقي الذي يعبر عن أفكار المجتمع وثقافته، ويبين مواضع القوة والضعف، والسعة والضيق والوحدة والانقسام، والمعتقدات الدينية والفكرية الفلسفية... **علم الإنسان اللغوي[18]:**

يُحلل علم الإنسان اللغوي الطرق التي يستخدم بها الناس اللغة في المجتمعات المختلفة، فيحاول العلماء اكتشاف الروابط بين لغة الجماعة والجوانب الأخرى لثقافتها، ففي اللغة الإندونيسية، على سبيل المثال، تتضمن كثير من التّعابير الإشارة إلى المركز الاجتماعي للشخص الذي يُخَاطب في الحديث، كما أن

المنارة للاستشارات
ww

للبيوت وغيرها من الأشياء أسماءها المختلفة وذلك بناءً على مرتبة الشخص الذي هو طرف الحديث عنها، ويعكس هذا الاستخدام للغة الأهمية البالغة التي تمثلها الطبقة الاجتماعية في الثقافة الإندونيسية، وتشمل الموضوعات الأخرى التي يدرسها الباحثون في علم الإنسان اللغوي: الكلام الرسمي وغير الرسمي، وأشكال التخاطب، والإهانات، والدعابات، كما يحلل الخبراء تراكيب اللغات غير المكتوبة، أما علماء علم الإنسان الذين يُعرفون بعلماء الأعراق البشرية (الأنثروبولوجيا)، فيدرسون الكيفية التي تعكس بها الكلمات وتعاريفها وتصنيفات آراء الناس في بيئتهم ومجتمعهم؛ فالنوير، قبيلة سودانية، لديهم كثير من الكلمات لألوان وعلامات الماشية، كما توضح مفرداتهم أهمية الماشية في طريقة حياتهم. كما أن الطرق التي تصنف بها الثقافات المختلفة؛ تكشف عن تلك الأشياء، كالحيوانات والنباتات والأقارب، وعن الطريقة التي ينظرون بها إلى العالم؛ فاللغة الإنجليزية، على سبيل المثال، تَستخدم نفس الكلمة (uncle) للإشارة إلى الخال أو العم وزوج أخت كلا الوالدين، أي زوج الخالة وزوج العمة، بينما توجد في بعض اللغات، كاللغة العربية والتركية مثلاً، كلمة خاصة بكل من هؤلاء الأقارب؛ الأمر الذي يساعد على تحديد حجم ودور سلوك الشخصية في البناء الهرمي للمجتمع؛ وعليه تتكون ثقافة وحضارة كل مجتمع.

- علم اللغة:

إنه العلم الذي يهتم بدراسة اللغة في حد ذاتها ومقصودة لذاتها، دراسة علمية[19]، ويعمل هذا العلم على الإجابة عن بعض الأسئلة حول اللغة مثل: كيف تتغير اللغات ولماذا يكون للمفردات معان معيَّنة؟ ويهتم العلماء الباحثون في مضمار اللغة بدراسة لغاتهم التي يتكلّموا بها وتلك التي لا يتكلّموا بها على حد سواء، حيث يقوموا، في مختبر اللغة، بعملية تفكيك الكلام وتحليل اللغة، ولعل الهدف الرئيس من تلك الدراسات، التي يقوم بها علماء اللغات هو، التوصل إلى حقائق علمية تفيد العاملين في مجال دراسة الحضارات والتراث الإنساني (الأنثروبولوجي) [20]. فعلم اللغة، إذًا، يهتم باللغة من حيث أنها لغة تستخدمها مجموعة بشرية للتواصل، أي أن علم اللغة لا تقف جهوده عند العمليات والمسائل الداخلية (التراكيب، النحو، المعنى)، للغة بعينها[21] ، فاللغات لا تنفصل عن بعضها البعض، كما يرى علماء النحو التحويلي/التوليدي، وكذلك لا تنفصل عن بيئتها الاجتماعية التي نشأت في أحضانها، فهي اللسان المعبر والوعاء الحامل للفكر والحضارة الإنسانية؛ الأمر الذي أسهم في تأسيس فرع علم اللغة الاجتماعي، فاللغوي الدارس للغة، يتعين عليه أن يستصحب، في دراسته، الظواهر الاجتماعية لتلك المجموعة: العقائد والأديان، السياسة، الاقتصاد، العادات والتقاليد ...[22]، وغير ذلك من ظواهر اللغة[23]. وهنا لابد من ألا نهمل علاقة أخرى، تعتبر أكثر خصوصية، ويعبر بها كل فرد عن مكنونات نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، كالسرور والرضا والغضب واللامبالاة ...؛ ويسمى هذا النوع من الدراسات بعلم اللغة النفسي؛

المنارة للاستشارات

وعلى الدارس لعلم اللغة النفسي أن يهتم بدراسة وفهم العلاقة التي تجمع بين اللغة كمنتج عقلي وبين ما تنطوي عليه النفس من مكنونات شعورية وحسية خفية، يمكن التوصل إليها من خلال تلك العوامل المكونة للسلوك الإنساني، وهي مجموعة العمليات العقلية الذهنية والتي يهتم علماء النفس بتناولها في أبحاثهم ودراستهم للسلوك الإنساني[24]؛ ولعل ذلك قد شجع على تأسيس ما يسمى بعلم اللغة النفسي، أو علم النفس اللغوي (Linguistic Psychology)، فمن كان من ذوي الخلفية اللغوية فيسميه علم اللغة النفسي، أما من انطلق من قاعدة علم النفس، بحكم دراسته ، فيطلق عليه علم النفس اللغوي. أما عن طبيعة العلاقة بين اللغة وعلم النفس فهي ترجع إلى طبيعة اللغة وأنها مظهر من مظاهر السلوك الإنساني، والسلوك البشري هو المركز الرئيس لدراسات ومباحث علم النفس[25] . ولا يعني هذا الحديث أن هناك ثمة تطابق بين المصطلحين، علم اللغة النفسي وعلم النفس اللغوي، بل ثمة فرق بين كلا المصطلحين، فعلم اللغة النفسي: يهتم بدراسة الرموز (Codes) الصوتية التي تحمل المعاني، ومخارجها، وكيف تحدث، وما يميز صوت عن آخر، ولا يكتفي بذلك وإنما يتعداه إلى دراسة القوانين التي تتحكم في تركيب وبناء الجملة[26]. بينما يهتم علم النفس اللغوي، بالجوانب النفسية التحليلية (العمليات العقلية) لفك شفرة الرموز الصوتية، بغرض الحصول على المعنى المقصود، ومن هنا انصبت جهود علماء النفس حول تحليل لغة الطفل من حيث الرموز الصوتية، والنحو، والدلالة[27]، يقول فون در جابلسون: الإنسان لا يستخدم اللغة، للتعبير عن شئ فحسب؛ بل للتعبير عما في يعتمل ويجيش في نفسه[28]، وعلى ذلك، فإن اللغة لا يصح تدريسها أو دراستها بصورة آلية؛ وذلك لوجود عنصري التأثير والتأثر، فالشخص يتحدث ليؤثر في الآخر من خلال انفعالاته العاطفية وأحاسيسه الشعورية، وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن التعبير عن فكرة لا يخلو من عاطفة شعورية، باستثناء الأفكار العلمية التي تعبر عن الحقيقة البحتة، وتكون مجردة من الخيال والانفعالات[29]، وقد أشار تشومسكي إلى أن علم النفس، هو فرع من علم آخر، أطلق عليه، علم النفس الادراكي (Cognitive Psychology)[30].

. مفهوم اللغة لدى المدرستين:

في ما سابق من حديث تم تناول اللغة من عدة جوانب، كعلاقتها بالتواصل ومدى أهميتها لخلق بيئة اجتماعية وتواصلية، وغير ذلك. ولعل ذلك كان بمثابة تقدمة أو توطئة للموضوع الرئيس، وهو: مفهوم انتاج أو تكوُّن اللغة لدى كل من المدرستين، البنيوية/السلوكية، والتحويلية/التوليدية؛ ومدى ما بينهما من خلافات ومواجهات نشبت نتيجة لوجهتي نظر مختلفتين، تبنت كل منهما نهجًا حول فكرة أو المفهوم الذي يتلقى به الفرد اللغة التي يتكلم بها، وهل هي (اللغة) موجودة بالفعل؛ من حيث وجهة نظر البنيويين/السلوكيين، أم هي موجودة بالقوة؛ بناءً على وجهة النظر التي يتبناها أصحاب المدرسة

المنارة للاستشارات
ww

التحويلية/التوليدية؟. وستعمل هذه الدراسة، على توضيح مفهوم كلا المدرستين في مجال مفهوم اكتساب أو انتاج اللغة كظاهرة وسلوك اجتماعي يهدف إلى خلق بيئة تواصلية، مع التركيز على اثنين من العلماء، الأول منهما هو، العالم النفسي بي أف سكنر، الذي سعى، بقوة وجد، إلى تدعيم مدرسة علم النفس السلوكي، بآرائه وأفكاره العلمية والعملية؛ مما سيقود، حتمًا، إلى دراسة العلاقة بين المدرسة اللغوية البنيوية وبين المدرسة السلوكية. والثاني هو، نعوم تشومسكي، الذي يتزعم المدرسة التحويلية/التوليدية. فأصحاب الأولى، يرون أن اللغة تؤخذ من خلال السماع والاحتكاك بالبيئة المجتمعية، ويرى تشومسكي ومناصروه، أن الطبيعة (الله) قد زود الإنسان بجهاز صوتي (بدءًا بالشفتين وانتهاءً بالتجويف البطني)؛ وزوده، كذلك، بجهاز أو مركز للغة يكمن في تلافيف المخ، ومهمته توليد اللغة، ولا فرق بين لغة وأخرى عند هؤلاء فاللغات جميعها مركزها المخ.

*** سكنر (1904- 1990م)[31]:**

بيرهس فريدريك سكنر، هو أحد أبرز علماء النفس الأمريكان، وُلد في سسكويهانا ببنسلفانيا بأمريكا، وفي العام 1926م تخرج في كلية هاملتون بنيويورك، وقد كان للعالمين، الأمريكي جون واطسون، والروسي إيفان بافلوف الأثر الكبير عليه، حيث ظل يدرس تعلُّم الحيوان ووظائف الجهاز العصبي المركزي، حتى العام1931م، وهو العام الذي حصل فيه على إجازة الدكتوراه في علم النفس من هارفارد، وبعد مضي سنوات خمس على إجازته في الدكتوراه؛ صار عضوًا بهيئة تدريس بجامعة مينيسوتا. كذلك عمل سكنر، رئيسًا لقسم علم النفس بجامعة انديانا، واستاذًا لعلم النفس بهارفرد حتى العام 1975م. ومن اللافت للنظر أن طفلته قد قضت جزءًا من عامها الأولين في صندوق قام بتصميمه بنفسه؛ ولعل دافعه لذلك هو دراسة سلوكها بشكل مباشر.

تميز سكنر ببحوثه في مضمار التعلم، ويعد نصيرًا ورائدًا للتعليم أو التدريس المُبرمج الذي تطبق فيه أسس المعرفة، التي يتم تحديدها في المختبر قبل التدريس في فصول الدراسة، وفي كتابه المعروف، الوالدية الثنائية، أوضح فكرته عن السلوك الاجتماعي المنضبط، وفي كتابه، ما وراء الحرية والكرامة، نادى بتقييد حريات الإنسان التي تقف عائقًا أمام تطوير المجتمع، ولعل إيمانه بالمجتمع الموجّه وضعه موضع الدكتاتور الذي يفرض وجهة نظر واحدة. ويمكن القول بأن سكنر قد لفت أنظار العالم إليه بدراساته التي قام بها في مجال تعديل السلوك من خلال فكرة تطبيق العقاب والثواب، والتي كان من أبرز نتائجها؛ أن عملية التدعيم الإيجابي (الثواب) لها أثر عظيم وفعال في تثبيت السلوك الجديد؛ الأمر الذي أسهم في تطوير العملية التعليمية التي تعتمد على التعزيز الإيجابي.

* مؤلفاته:

المنارة للاستشارات
ww

الوالدية الثنائية (1948م)، ما وراء الحرية والكرامة (1971م). كما عمل على إصدار أربعة مجلدات تضمنت سيرته الذاتية وهي: خصوصيات حياتي (1976م)، التجسيد السلوكي (1979م)، مسألة النتيجة المنطقية (1983م)، فوق انعكاس أبعد (1986م).

- البنيوية Structural Linguistics[32]:

استخدم التفكير البنيوي كمصطلح حديث، في القرن 17م؛ بغرض فهم نوع العلاقة الكلية، من الداخل، ومصطلح البنيوية عبارة عن منهج أو مذهب فكري يهتم بالشكل أو الاطار العام لمفهوم أو العديد من المفاهيم التي يجمع بينها عامل مشترك أو تكون على صلة فيما بينها، فالبنيوية، كمنهج، تقوم على دراسة طبيعة الصلات والعلاقات البينية الداخلية، أكثر مما تعنى بطبيعة الموضوع نفسه. وقد ورد ذكر مصطلح البنيوية في عدة مجالات علمية ومعرفية: الأحياء، الهندسة، وظائف الأعضاء ...، إلا أن ذلك المصطلح القديم قد شمل، فيما بعد، العديد من ضروب العلوم والمعارف الإنسانية، كالتربية والتعليم وعلم النفس ...، وقد سيطرت المدرسة البنيوية (البنائية/التركيبية) على أنماط التفكير الغربي، وقد أثرت هذه المدرسة في الدراسات التي انطلقت في مجال علم اللُّغة عامة وعلم الأسلوب خاصة، إذ توجه العلماء إلى التعامل معها بهدف التمييز الثنائي الذي هو أصل دراسة النصوص بناءً على اللغة، حيث ظهرت البنيوية في الغرب في مجال اللغويات وكان الدافع إليها تعذر دراسة اللغات الهندية والإفريقية والشرقية والأوروبية دراسة مقارنة، ومن ثم وجد اللغويون أن عليهم دراسة اللغة من داخلها أي دراستها دراسة بنائية بمنهج موضوعي، لاسيما وأن البنيوية لا تخضع، في عملها التحليلي والتفكيكي، للنظرة الخارجية، وإنما تغوص في الداخل لتنظر إلى الروابط الداخلية التي تصل بين الأجزاء التركيبية للمركب ككل؛ فمهمة العقل، البنيوي، هي البحث في النسق المنتظم كجوهر وليست كمظهر أو شكل؛ وذلك للوصول إلى القانون الداخلي الذي يتحكم في رسم حركة ونشاط العلاقات الداخلية فحسب، ولا يهتم المنهج البحثي، في كثير من الأحيان، بالمضمون وإنما يصب كل جهوده ويركزها على عمل البنية الداخلية وما بينها من ترابط داخلي دقيق، ربما خفي على أولئك الذين يركزون جهودهم ويصوبونها على المضمون، معتمدين على النظرة الوصفية الخارجية. وقد سعت البنيوية، كمنهج بحثي، إلى تقديم اطار عام للبحث يجمع كل المذاهب والنظريات المعرفية، دون استثناء، في وعاء أو منهج فكري يعمل على هدم الجدران الفاصلة بين العلوم والمعارف الإنسانية. وقد أثار كلود، الكثير من ردود الأفعال عندما نشر كتابه (البنيات الأولية للقرابة1949م)، حيث ظهرت أعمال كثيرة تأثرت بفكرة التحليل البنيوي في علم النفس والتاريخ والنقد الأدبي وعلم الأديان وعلم الاجتماع وعلم اللغة

المنارة للاستشارات
ww

...، وقد ارتبطت هذه النظرية، في مجال علم اللغة، ارتباطًا وثيقًا، بالعالم السويسري سوسير وهو العالم المعروف واللغوي الضليع فرديناند دي سوسير[33].

وهنا ثمة سؤال يحتاج إلى إجابة، وهو: هل يوجد فرق بين اللغة كإفراز عقلي منطقي، والكلام المنطوق الذي ينتجه الجهاز الصوتي للفرد؟ في هذا الصدد لابد من الرجوع إلى زعيم المدرسة البنيوية، السويسري فرديناند[34]، الذي يرى، أن الهدف الأساسي والوحيد للدراسة اللغوية ينحصر في دراسة اللغة كواقع قائم بذاته ولذاته، وقد لفت الانتباه إلى إمكانية النظر إلى اللغة، من أكثر من زاوية واحدة، فيمكن اعتبار اللغة وسيلة تعبير وتواصل من حيث وظيفتها الأساسية، أما من حيث شروط وجودها، فيمكن النظر إليها، كمحتوى تاريخي ثقافي، ومن حيث نظامها الذاتي فيمكن اعتبارها تنظيمًا من الإشارات، وللإجابة عن السؤال السابق نجد أن سوسير قد ميز بين اللغة والكلام، فاللغة، في رأيه، عمل جماعي أو هي كنز جماعي وضعته ممارسة الكلام في ذهن الأفراد الذين يستعملونه أو هي مجموعة الكلمات ودلالاتها المخزنة في ذهن المتكلمين، ورأي سوسير، هنا، أقرب لفكرة تشومسكي عن مفهوم اللغة الذي يرى أن اللغة وظيفة موجودة بالفعل في الدماغ؛ وبذلك يمكن القول بأن اللغة، من هذا المنظار، حقيقة نفسية واجتماعية وتنظيم موجود بالقوة، في دماغ كل فرد من أفراد المجتمع[35].

1- اللغة نظام فكري عقلي، بينما الكلام نشاط تفاعلي يعكس نشاط الأذهان.
2- تطوير اللغة يتم من خلال مناهج متنوعة تشمل: الأصوات (فونيمات)، القواعد النحوية والصرفية، أما الكلام فيكتسب من خلال الصوت أو الإشارة الرمزية ذات الدلالة.
3- اللغة توجد في المجتمع، في حين أن الكلام هو أداة تعبيرية عن الحاجات.
4- اللغة هي مركز انتاج بذور الكلام (حروف/أصوات)، وتمكِّن الفرد من الاندماج والانصهار في مجتمعه.
5- اللغة ضرورة اجتماعية، والكلام ضرورة فردية[36].

وقد قام سوسير بمجهودات عظيمة ومقدرة في سبيل التمهيد لهذه المدرسة ؛ وذلك من خلال جهوده العلمية التي بذلها للتفريق بين **اللسان**، وهو مجموعة الأنظمة والأشكال البنيوية المترابطة التي تمثلها اللغة في بيئة لغوية معينة، وهذا الترابط يكون على مستوى، الدلالة والنحو والصوت، وبين **الكلام**، الذي يمثل ما ينطقه الشخص. والكلام ينبني على القدرات والإمكانات العقلية للشخص[37]. وقد كانت لأفكار ونظريات سوسير كبير الأثر على أشخاص ثلاث:

المنارة للاستشارات
ww

. الأول: فرانز بواس[38] (Franz Boas1858-1942م). عالم أمريكي من أصول ألمانية، ولد بمدينة ميندن الألمانية، وسافر إلى الولايات المتحدة في العام 1886م وحصل على الجنسية الأمريكية في العام1891م، وقد عمل أستاذًا بجامعة كولومبيا، بمدينة نيويورك (1896- 1936م)، حيث تدرَّب وتتلمذ عليه العديد من قادة علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، بمن في ذلك مرجريت ميد وإدوارد سابير الذي كان أحد أشهر العلماء في علم الأنثروبولوجيا، المؤثرين ذوي النفوذ خلال القرن العشرين. أرسى بواس، خلال عمله الأساسي، نظريات علم الإنسان الحديث والتي تتناول فيها أثر الثقافة على سلوك وتطوَّر الإنسان، وأيضًا سعى بواس في عمله إلى دراسة التباين والاختلاف الثقافي وعلاقة ذلك باللغات البشرية والنماذج البشرية البدنية، وقد أوضح، على العكس مما كان سائدًا في عصره، أن البيئة تقوم بالدور الأساسي في التباين وليس الوراثة، وكان بواس واحدًا من علماء الأنثروبولوجيا القائلين والمنادين بأهمية البحث الميداني؛ وذلك بدراسة المجموعة المعينة من داخلها أي من خلال العيش في المجتمع للتعرف على أدق تفاصيل حياته الاجتماعية، وليس الاكتفاء بدراسة اللغة فحسب، وقد طبق ما كان ينادي به في دراسته لقبائل الهنود في الشمال الغربي للمحيط الهادئ، ومن بين كتبه عقل الإنسان البدائي (1911م)، وكتاب الجنس واللغة والثقافة (1940م). وكان ينادي بدراسة كل لغة على حدة.

. الثاني: إدوارد سابير[39] (Edward Sapir 1884-1939): ولد سابير في منطقة لوينبرج في ألمانيا الغربية، (ليبورك في بولندا حاليًا)، وانتقل مع أسرته إلى الولايات المتحدة وهو في الخامسة من عمره، حيث تلقى تعليمه الجامعي بجامعة شيكاغو وجامعة ييل، وقد تخصص في دراسة علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم اللغة، وقد اهتم كثيرًا بدراسة العلاقة بين اللغة والثقافة والشخصية، في أبحاثه ودراساته، وكانت له مساهمته القيمة في علم اللغة في دراسة التراكيب اللغوية، اللغات وتاريخها، واهتم بدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات، وأيضًا ساهم في التأسيس لفرعين جديدين للبحث في مجال الأنثروبولوجي وهما: علم الإنسان اللغوي، ويسمى أيضًا بعلم اللغة العرقي، والذي يقوم بدراسة دور اللغة وأثرها في البيئات الاجتماعية، أي أنه يهتم بالبحث في العلاقة بين اللغة والثقافة. وعلم الإنسان النفسي، وهو علم يختص بالنظر في السمات المشتركة بين الثقافة المجتمعية والسلوك الشخصي، ويبحث في العمليات الذهنية المرتبطة باللغة، كذلك من مجهودات سابير العلمية أنه تمكن من مساعدة علماء التاريخ على إعادة بناء

المنارة للاستشارات
ww

التاريخ الثقافي والحضاري رغم اندثار الآثار المكتوبة، وقد كان سابير عظيم الأثر في مجال الثقافة في علم الأنثروبولوجيا الحديث، بما قدمه من بحوث ودراسات واسعة لثقافة الهنود الحمر. وقد حذا سابير في أبحاثه حذو أستاذه، وأكد على دراسة كل لغة وفقًا لأحوالها الخاصة، بيد أنه رفض فكرة أستاذه عن أجزاء الكلام معتبرًا أن ذلك مما يتوفر في جميع اللغات التي تجمع بينها قواعد كلية مشتركة، وقد كان لسابير أثره في المهتمين بالنحو التحويلي/الكلي، فيما بعد، وذلك لتركيزه على العلاقة بين اللغة والتفكير كنشاط عقلي ذهني، والنحو الكلي هو: المجموعة الشاملة للمبادئ الثابتة التي تغرثها لوراثة في عضو اللغة، وهي تشمل النحو وأصوات الكلام والدلالات، ويمكن القول بأن النحو الكلي: هبة جينية موروثة تمكننا من أن نتكلم جميع اللغات التي نتعلمها[40].

.الثالث: ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield 1949-1887)، وُلِد في مدينة شيكاغو الأمريكية وتخرج في جامعة هارفارد، وقد حصل على إجازة الدكتوراه من جامعة شيكاغو، كذلك درَّس علم اللغات في ذات الجامعة وأيضًا بجامعة ييل، وكان بلومفيلد رئيسًا لجمعية علم اللغات الأمريكية التي قام بتأسيسها في العام 1924م. ويعد بلومفيلد من أبرز علماء اللغويات في أمريكا، عمل على تطوّير الطرق والأساليب العلمية في مضمار دراسة اللغة. ويعتبر بلومفيلد من مؤسسي النظرية البنيوية والأب الحقيقي لها، إذ أنه ركز، في أبحاثه ودراساته، على دراسة صيغ وأساليب اللغة، مهملاً الجانب المتعلق بالمعنى أو المحتوى، واشتغل بلومفيلد أساسًا باللغات الجرمانية، والبولينيزية، والأمريكية الهندية، واخترع طريقة لوصف تكوينات اللغة، وأصبح كتابه اللغة (1933م) كتابًا مدرسيًا يمثل المدرسة البنيوية الأمريكية في علم اللغات، ومميّزًا في مجاله، وشارك بلومفيلد في التدريس العملي للقراءة واللغات الأجنبية، وهو من أرسى قوانين النظرية البنيوية وأسس لمناهجها؛ من خلال كتابه اللغة (Language)، ولكنه لم يتفق مع سلفه سابير في تركيزه على دور العقل وأثره في اللغة؛ الأمر الذي جعله أقرب إلى علماء النفس السلوكيين في تناولهم للغة بناءً على نظرية العالم السوفيتي بافلوف "المثير والاستجابة" التي تتيح المراقبة والملاحظة الخارجية، كما أنه لم يكن يولي المعاني التي تتضمنها الجمل كبير اهتمام في أبحاثه، وهو بذلك أشبه بالجاحظ الذي كان يرى أن الشرف للأفاظ، أما المعاني فهي مبذولة في الطرقات[41].

المنارة للاستشارات
ww

لقد سبق وأن أشرنا إلى تلك العلاقة الوطيدة التي نمت وترعرعت بين البنيوية، كمدرسة لغوية تهتم بالدراسات اللغوية في مجال علم اللغة، وبين مدرسة علم النفس والمعروفة بالمدرسة السلوكية والتي جاءت بداياتها في العام 1913م على يد العالم النفساني الأمريكي، جيمس واطسون، الذي كان يرى أن دراسة السلوك الظاهري، هو مصدر حري بالثقة، ولعل السلوكية بموقفها هذا قد ساندت ودعمت ما ذهب إليه أصحاب المدرسة البنيوية في مجال التعلم، وذلك من خلال تركيزهم على الدور الذي تلعبه البيئة في تكوين السلوك، ولا شك في أن ذلك يرجع إلى تأثير الفيزيولوجي وعالم النفس الروسي بافلوف، حيث ربط السلوكيون بين تغيير السلوك وبين الإشراط (المنعكس الشرطي)؛ وبذلك رأى واطسون، ومناصروه من السلوكيين، أنه بالإمكان تعلم سلوك جديد أو الحصول على استجابة محددة من خلال ضبط البيئة المحيطة والتحكم فيها، وواطسون هذا هو صاحب المقولة الشهيرة: (اعطوني عشرة أطفال وسأعمل على تشكيل سلوكهم كما تريدون)، وكأن الأمر لا يتعدى تقديم مثير من جانبه ليحصل على الاستجابة التي يريد من الطرف الآخر. وقد كان لهذه المدرسة تأثيرها الفعال في عدد من علماء النفس والذين كان من أبرزهم الأمريكي بي إف سكنر، وربما كان في ما ذهب إليه أنصار المدرسة السلوكية الكثير من التعنت الزائد عن الحد، فنظرتهم القاصرة، للسلوك، لا تتعدى أنه سلسلة من الاستجابات لعدد من المثيرات؛ وفي هذا الصدد يقول بدري: إن كل تصور وضع لملء هذا الفراغ، في علم النفس، كفكرة الفعل المنعكس الشرطي؛ داهمه الفشل وطواه النسيان[42]. وربما لا تكون ثمة غرابة، أو ما يدعو للدهشة أن ينفرد، بمثل هذه الأفكار، علماء النفس السلوكيون دون غيرهم، ولكن المثير أن يتبنى هذا الرأي بعضًا من علماء علم اللغة، يقول مدكور[43]،: إن اللغة مكتسبة؛ ومعنى أنها مكتسبة أنها ليست غريزة في الإنسان؛ فالطفل يولد دون لغة، ثم يبدأ في تلقي الأصوات بأذنيه، ويربط بين الصوت وصورة الشخص، وبين الصوت والشئ وبين الصوت والحركة، ويدرك العلاقات بين الأشياء، وهكذا تتكون مفرداته وقاموسه اللغوي. ونراه يجتهد في تأكيد فكرته فيقول: والأطفال العرب الذين يولدون في مجتمعات غير عربية يتعلمون لغات هذه المجتمعات بالاكتساب ومن خلال الاحتكاك والتفاعل[44]. ومن بين المؤيدين لهذا الاتجاه، أيضًا، مزيد، الذي يقول: وهناك أمران متماثلان يستخدمان في محاولة استنتاج اللغة هما:

1- اكتساب الأطفال عملية الكلام.

المنارة للاستشارات
ww

2- تراكيب وخصائص ما يسمى باللغة البدائية (Primitive Language)، وكلاهما عاجز عن تحقيق الغرض.

وبهذا نجد أن مذيدًا[45]، يسير في نفس الاتجاه الذي يرى أن اللغة شئ مكتسب بالتعلم. لاسيما وأن علماء النفس، ينظرون إلى اللغة على أنها نظام يمكن بواسطته تحليل أي صورة، أو فكرة ذهنية إلى أجزائها وخصائصها البدائية، أو ما يسمى بالعوامل الأولية، حيث يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص[46]. ومن هنا فإن ثمة علاقة وطيدة قد نشأت بين المدرسة البنيوية، والمدرسة السلوكية، إذ اعتقد علماء النفس التجريبيون[47] بأن هدف علم النفس هو دراسة السلوك الظاهر والملموس، وأن يتم ذلك بشكل عملي تجريبي يسهم ويساعد في تفسير السلوك، ومن ثم لجأوا إلى فكرة القيام بدراسة تجريبية علمية للنشاط الواعي للمخ، بتجزئة السلوك إلى العناصر المكونة لبنياتها، وقد استخدم علماء هذا المذهب أسلوبًا رئيسًا في البحث يسمى الاستبصار أو الاستبطان (Introspection) ينطوي على تدريب الأشخاص على الانتباه لعملياتهم الذهنية ومشاعرهم وتجارب حياتهم.

تعتمد البنيوية، في تحليلها للجملة، على نموذج التحليل الشجري عند جون ليونز، أو ما يسمى بنموذج التحليل الطبقي، باعتبار أن الجملة تتألف من طبقات كبرى تليها أخرى أصغر منها، ومن ثم تعمل على تحليلها إلى عناصرها الأولية، مثال: (يقرأ المفكرون المهتمون كثيرًا)[48].

<table>
<tr><td colspan="7">يقرأ المفكرون العاقلون كثيرًا</td></tr>
<tr><td>يقرأ</td><td colspan="3">المفكرون العاقلون</td><td colspan="3">كثير(كثيرن)</td></tr>
<tr><td>ي + قرأ</td><td colspan="3">المفكر + ون</td><td colspan="3">العاقل + ون</td><td rowspan="2">كثير +ن</td></tr>
<tr><td>قرأ</td><td>ال</td><td>مفكر</td><td>ون</td><td>ال</td><td>عاقل</td><td>ون</td></tr>
<tr><td>قرأ</td><td colspan="3">مفكر</td><td colspan="3">العاقل</td><td>كثير</td></tr>
<tr><td>قرأ</td><td colspan="3">فكر</td><td colspan="3">عقل</td><td>كثر</td></tr>
</table>

- الفلسفة وعلم النفس:

منذ القدم والفلاسفة والمفكرون يحاولون فهم سر العلاقة الكامنة وراء غرائز وسلوك الكائنات الحية؛ الأمر الذي حدا بهم إلى دراسة مفهوم النفس، حيث تعود أصول هذه الدراسة إلى الفيلسوف الإغريقي أرسطو الذي ركز معظم جهوده للبحث في قدرة العقل البشري على الإنجاز، إذ كان يرى أن العقل

المنارة للاستشارات
ww

والنفس، التي أسماها الإغريق الروح، منفصلان عن الجسد، وكان يعتقد أن النفس هي التي تمكن الناس من التفكير، فضلاً عن كونها مصدرًا لأسمى الفضائل الإنسانية. غير أن علم النفس قد خرج من تلك العباءة وفصل نفسه عنها تمامًا في منتصف ق19م، عند ما بدأ عالمان ألمانيان، هما العالم الفسيولوجي جوهانز مولر والفيزيائي والفسيولوجي هيرمان فون هيلمولتز[49] ، أولى أبحاثهم ودراساتهم المنتظمة للإحساس والإدراك، حيث توصلا إلى أن بالإمكان دراسة العمليات الجسدية الكامنة وراء النشاط العقلي بصورة علمية. وفي العام 1875م تم تأسيس أول معمل للقياسات النفسية، وكان ذلك على يد الأمريكي وليم جيمس، ثم تلاه مختبر الطبيب والفيلسوف الألماني فلهلم فونت في العام 1879م، وتعد خطوة فلهلم هي الخطوة الرائدة في التأسيس لعلم النفس كعلم منفصل عن الفلسفة، ومن ثم أصبح لعلم النفس قاعدته التي ساعدته في ربط منهجه بشتى العلوم الإنسانية، حيث يمكن دراسة علم النفس كعلم يمثل علاقة بينية داخلية وثيقة الصلة بين العلوم[50].

كذلك كان للفكر الفلسفي دوره الفاعل في التأثير على مدرسة النحو التحويلي/التوليدي؛ حيث تأثر كل من هاريس وتلميذه تشومسكي، في أبحاثهم، بالأفكار العقلية الفلسفية، والتي من أبرزها أفكار الفيلسوف الفرنسي ديكارت[51]، وهو من الفلاسفة الطبيعيين والمؤمنين بآلية أو حتمية الوجود[52]، أي أن جميع القوانين المسيرة لحركة الوجود متصلة ومرتبطة بقانون السبب والأثر (العلة والمعلول)؛ ولذلك فقد كان ديكارت من القائلين بأن الناس يولدوا وهم مزودين بالقدرة على التفكير والتمحيص، وهو صاحب المقولة الشهيرة: أنا أفكر أنا موجود، وهو بهذا يكون أقرب لتشومسكي، في حين يبدو معارضوه التجريبيون، توماس هوبز وجون لوك وديفيد هيوم الأسكتلندي وجورج باركلي الأيرلندي، أقرب إلى أفكار المدرسة البنيوية/السلوكية، التي تعتبر أن الطفل يولد وعقله عبارة عن صفحة بيضاء[53]، وأن معرفته بالعالم الخارجي لا تتأتى إلا عبر الحواس وهي التي تعمل على تشكيل سلوكه، وأن أفكار الناس هي المحصلة النهائية لتراكم الخبرات والتجارب الحياتية. وهناك أيضًا الفيلسوف الألماني همبولدت (Humboldt) الذي يرى أن اللغة تتكون وتنبني على نمطين: نمط خارجي آلي, وآخر داخلي عضوي، والأخير هو الأكثر أهمية؛ باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل شيء, وهو يمثل البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح، ومن هنا لا ينبغي التعامل مع اللغة على أنها مجموعة من الظواهر غير المتصلة أو المترابطة بعضها ببعض, بل باعتبار أنها نظام عضوي متناسق تتداخل فيه جميع الأجزاء ويقوم كل من تلك الأجزاء بدوره وفقا للعمليات التوليدية التي تشكل وتكوّن البنية العميقة. وقد عرف عن تشومسكي دعوته إلى الاستفادة من فلسفة همبولدت وأفكاره فقال: ينبغي الرجوع

المنارة للاستشارات

إلى التصور الهمبولدي للغة, الذي يعد الكفاءة اللغوية نظامًا من التطور التوليدي[54]، وتشومسكي نفسه يربط آراءه، صراحة، بآراء فلاسفة القرنين 17و18م، العقلانيين، فهناك، في وقتنا الحاضر، تلاق، في الاهتمامات، لا يمكن إغفاله بين اللغويين وعلماء النفس والفلاسفة[55]؛ كذلك يرى تشومسكي أن علم اللغة وعلم النفس والفلسفة لا ينبغي أن ينظر إليها على أنها علوم مستقلة، ينفصل بعضها عن بعض[56].

*** أفرام نعوم تشومسكي (1928م)[57]:**

عالم لغوي أمريكي يعد من أبرز مؤسسي قواعد النحو التوليدي، ويحتل مكانة مرموقة في مجال علم اللغة، بل لعل أحدًا من علماء اللغة لم يتمتع بتلك المكانة من قبل، وقد احتشد أكثر من ألف شخص بجامعة أوكسفورد1969م، للاستماع لمحاضرته في فلسفة اللغة[58]. ولد تشومسكي في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتخرج في جامعة بنسلفانيا في العام 1949م، وحصل على إجازة الدكتوراه في 1955م، والتحق بهيئة التدريس في معهد ماساشوسيتس للتقنية في نفس العام.

* بعض مؤلفاته:

من أشهر ما قام بتأليفه في مضمار علم اللغة: 1/ التراكيب النحوية (1957م). 2/ وجوه النظرية النحوية (1965م). 3/ اللغة والعقل (1968م). 4/ اللسانيات الديكارتية (1966م). 5/ اللغة ومشاكل المعرفة (1988م). 6/ البنية المنطقية للنظرية اللغوية the Logical Structure of Linguistic Theory. 7/ مظاهر النظرية النحوية (Aspects of the Theory of Syntax). 8/ دراسات الدلالة في القواعد التوليدية (Studies on Semantics in Generative Grammar). 9/ آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل (Language and Mind). 10/ الربح مقدم على الشعب، اللغة ومشكلات المعرفة.

كذلك لنعوم تشومسكي مؤلفات أخرى، ليست في مجال الدراسات اللغوية، نذكر منها، على سبيل المثال:

2- أشياء لن تسمع بها أبدًا.
3- الحادي عشر من أيلول – الإرهاب والإرهاب المضاد.
4- الدول المارقة.
5- الربح فوق الشعب، اللبرالية الجديدة والنظام العولمي.
7- النظام العالمي الجديد والقديم.
8- الهيمنة أم البقاء.
9- سنة501 الغزو مستمر.
10- قراصنة وأباطرة.
11- ماذا يريد العم سام.

المنارة للاستشارات
ww

ـ علم اللغة التحويلي/التوليدي (transformational Linguistics):

ولد هذا العلم على يد اثنين من علماء اللغة الأمريكان، حيث اطلع، في البداية، العالم اللغوي هاريس[59] (Haris) بفكرة هذه النظرية، ومن ثم جاء تلميذه تشومسكي (Chomsky)، من بعده، وقد كان لهذين العلمين الكبيرين، كبير الأثر في نشأة علم اللغة التحويلي والتوليدي، ويرى رمضان عبد التواب، أن هاريس هو أبو علم اللغة التحويلي، وتشومسكي أبو التوليدي، غير أن الناظر للنظرية يجد تشابهًا بل تطابقًا بينهما، فكلاهما يرى أنه يمكن انتاج عدد غير متناه من من الجمل، فهاريس، مثلاً، اهتم بدراسة العلاقة بين عناصر الجملة، فرأى أن نحو اللغة يتألف من قواعد معينة يمكنها أن تساعد في تكوين عدد لا محدود من الجمل، وأن ذلك يتم من خلال تغيير مكونات الجملة الداخلية، بالحذف والإضافة والاستبدال للعناصر المكونة للجملة الواحدة، أما تشومسكي فيقول: إن في وسع أي لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترد بالفعل في اللغة[60]. يقول جون ليونز مشيدًا بآراء المدرسة التحويلية/التوليدية وأفكارها: إنها لم تكن مجرد مدرسة عادية بين مدارس لغوية أخرى...، وتعد بلا شك أكثر النظريات اللغوية حيوية وتأثيراً. ويقول في موضع آخر: النحو التحويلي هو أفضل نظرية ظهرت حتى الآن لوصف تركيب اللغة الإنسانية وتفسيرها بطريقة منهجية...، ومعرفة النحو التحويلي وفهمه يُعد ضرورة أساسية لأي فيلسوف أو عالم نفس أو عالم أحياء يرغب في دراسة قدرة الإنسان اللغوية. وتأثير تشومسكي لم يتوقف على مناهج دراسة اللغة فحسب بل تعداه إلى علوم أخرى كعلم النفس وعلم الأسلوب[61].

وقد استند تشومسكي، في نظريته، على فكرة أن كل إنسان يولد وهو مزود بآلية المبادئ العامة للغة منذ ولادته، أي أنه معد بما يعينه على انتاج اللغة، ولا يولد وعقله صفحة بيضاء، كما تدعي المدرسة البنيوية وأنصارها من السلوكيين، وليس هذا فحسب بل يرى تشومسكي أن هذه المبادئ موجودة في كل لغة، بحيث أنها تمثل قواعد شاملة ومشتركة بينها، فيقول: إن البنية اللغوية إنما تتجدد وفقًا لبنية العقل الإنساني، وأن اشتراك لغات البشر في بعض الخصائص؛ لدليل على أن هذا الجانب، على الأقل، من الطبيعة البشرية، هو ملك مشاع بين كل أفراد الجنس البشري، بصرف النظر عن اختلاف أعراقهم وطبقاتهم، والفروق المؤكدة بينهم في الذكاء والشخصية، الصفات الجسمانية[62]. إذًا فتشومسكي يرفض فكرة الصفحة البيضاء وأن الأطفال يتعلمون الكلام عن طريق تقليد الكبار ومحاكاتهم ليس إلا، ويضرب لذلك مثالاً يقول فيه: " يظن عمرو أنه حري بالجائزة" فالضمير (الهاء) ربما يعود إلى عمرو، أي أن عمر هو من يظن نفسه حري بالجائزة، وربما يعود الضميرإلى شخص آخر يعتقد عمرو أن خري بالجائزة، ولكن حين يكون المثال

المنارة للاستشارات
ww

المستخدم على النحو التالي: "عمرو يظنه حري بالجائزة" فهنا لا ينصرف الذهن إلا في اتجاه واحد وهو أن الضمير يعود إلى شخص آخر غير عمرو. ولنتأمل ما يريد تشومسكي أن يستنبطه من ذلك المثال، وهو أننا لا نعلم مثل هذه القاعدة، المتعلقة بالضمير، للأطفال في المدارس وإنما يتوصلون إليها بشكل تلقائي وفي وقت مبكر من العمر؛ وذلك لأن هذه المعرفة مغروسة في جميع الأذهان بشكر غريزي فطري[63]. وتدعم التجربة التي أجراها العالم سبري روجر، ما ذهب إليه تشومسكي، في رفضه لفكرة الصفحة البيضاء؛ حيث أزال سبري مربعًا صغيرًا من جلد ظهر فرخ ضفدع صغير، وآخر من بطنه، وزرع كل منهما مكان الآخر، ومن المعروف، علميًا، أنه إذا دغدغنا ظهر أي ضفدع بالغ بشعرة خشنة على ظهره حكّ مكان الدغدغة، وهذا أمر طبيعي، أما غير الطبيعي والمدهش في تجربة سبري هو، أن ضفدع التجربة قد انعكس عنده الأمر، في مكان الجلد المزروع، فصار، عندما يمس في موضع الجلد المزروع، يحك بطنه كما لوكان يشعر بشئ مزعج هناك، وعندما ندع مكان الجلد المزروع إلى الجزء غير المزروع؛ يعود الاحساس إلى طبيعته. في هذه التجربة دلالة مؤكدة على أن كل خلية عصبية تُخلق وعليها بطاقة معنونة بمكانها الطبيعي في الجهاز العصبي، لا يمكنها أن تتعداه قيد أنملة[64]، وهناك تجارب علمية أخرى، لا يتسع المجال لذكرها هنا، ترفض فكرة الصفحة البيضاء التي راجت بين كثير من علماء النفس وغيرهم، غير أن التجارب العلمية قد أثبتت خطأ هذه النظرية وعدم مصداقيتها.

ومن ثم وجه تشومسكي سهام نقده اللاذع للمدرسة البنيوية/السلوكية، وقد خص السلوكيين بقدر واف من تلك السهام النقدية، وأخذ يتساءل عن تلك الفكرة القائلة بالتعلم بالتقليد، ولماذا لا يوضح لنا السلوكيون الكيفية التي يكوّن بها الأشخاص جُملاً لم تستعمل على الإطلاق، ولم يتعلموها من قبل؟، وأين المحاكاة وأين التقليد؛ إذا كان في استطاعة الفرد أن ينتج جملاً غير تلك التي تعلمها أو سمعها مسبقًا؟ ورأى تشومسكي أن سماع اللغة المتكلم بها يعمل على تحفيز المقدرة اللغوية الموجودة لدى الطفل منذ المولد، أي أنه يدفعه ويحفزه على توليد كلمات وعبارات جديدة، ويقدم لنا تشومسكي النموذج التالي كدليل على إمكانية توليد العديد من الجمل من جملة واحدة:

- The man opened the door.
- The man did not opened the door.

المنارة للاستشارات
ww

- Did the man opened the door?
- Didn't the man opened the door?
- The door was opened by the man.
- The door was not opened by the man.
- Was the door opened by the man?
- Wasn't the door opened by the man?

ويمكن توليد المزيد من هذه الجمل التي تتصل ببعضها البعض؛ وذلك لأنها تمثل جملة عميقة واحدة. وقد ابتكر تشومسكي طريقته الخاصة لتحليل الجملة وهي طريقة (النموذج التحويلي Transformational Grammar) وهي تهدف إلى تبسيط البنية المعقدة (العميقة) للغة، ومن ثم تحويلها إلى جملة بسيطة (سطحية) ومفهومة، أي يفهمها العقل البسيط، كما تهدف إلى تحليل البنية البسيطة (السطحية) إلى شئ ملموس أو محسوس للبنية المعقدة (العميقة)، والهدف الأساسي من التحليل هو الوصول إلى الرابط لدى المتكلم، حيث تعمل القواعد التحويلية على تحويل (البنى العميقة Deep Structures) إلى (البنى السطحية Surface Structures)، والأخيرة هي التي ينطق بها المتكلم ويستمع إليها السامع[65]. ويرى تشومسكي أن هناك أسباب وجيهة تدعوه إلى للاعتقاد بأن كل لغة تستند إلى " إجراء توليدي" قادر على انتاج عدد لا متناه من العبارات المبنية تراتبيًا وفق تركيب معين. وتؤوّل هذه العبارات عبر وجهتين: وجهة النظام الحسي الحركي وهو المسئول عن إخراجها في شكل أصوات مسموغة، والوجهة الأخرى وتمثل النظام المفاهيمي للتفكير والتخطيط والتفسير، بجانب وظائف إدراكية أخرى، تهتم بالدلالة التعبيرية الادراكية[66].

وإذا تحدثنا عن تشومسكي ونقده؛ فسنجد أن أول سهام النقد الموجهة للسلوكيين من كنانة تشومسكي، قد تمثلت في هجومه الضاري على كتاب سكنر (B.F Skinner) المسمى بالسلوك اللغوي (Verbal Behavior)، الذي قام تشومسكي، في العام 1959م، بعرضه عرضًا مسهبًا وموثقًا، حيث ذهب تشومسكي إلى أن المصطلحات الفخمة والاحصاءات المؤثرة التي يكسوا بها السلوكيون دراستهم؛ ما هي إلا لون من ألوان الخداع، يخفون به عجزهم عن تفسير الحقيقة البسيطة التي تقول، إن اللغة ليست نمطًا من العادات (Habits)، وأنها (اللغة) تختلف جوهريًا عن طرق الاتصال لدى الحيوان[67]. ويعتبر كتاب

المنارة للاستشارات
ww

تشومسكي (التراكيب النحوية Syntactic Structures 1958) من أهم الكتب التي صدررت في مجال علم الدراسات اللغوية، وقد عمل تشومسكي فيه على تبيين مواضع الضعف والقصور في منهج التحليل البنيوي.

ومما يُلفت النظر أن تشومسكي نشأ وترعرع في أحضان المنهج السلوكي في دراسة اللغة، والذي كان بلوميلد قد أسس له وأرسى دعائمه, ذلك المذهب الذي كان يعتمد في تحليله للنصوص اللغوية على الكلمة وموقعها في الجملة, وأيضًا اعتمد على التوزيع الفونولوجي والمورفولوجي, واعتمد، أيضًا، على وصف الصوت والكلمة والتركيب, وكذلك اعتمد على سلوك السامع المنبني على نظرية بافلوف (المثير والاستجابة)، وبهذا يمكن أن نلاحظ أن السلوكيين يستبعدون الجوانب الانفعالية للمتكلم أثناء التواصل، ولا يولون عنصري التأثير والتأثر اللذان يحدثان في كل عملية تواصل بين طرفين؛ مما يجعل من الفرد، في المدرسة السلوكية، آلة صماء باردة، وليست له أي دور فعال في إنتاج الكلام, وبجانب هذا هناك أمر لا يقل عن سابقه أهمية وهو، أن أولئك السلوكيين/البنيويين يهملون المعاني المتضمنة في الجُمل، ولا يعيرونها التفاتًا في دراستهم. الأمر الذي جعل منهم هدفًا لسهام تشومسكي وأستاذه زليج هاريس الذي كانت له آراء منهجية في دراسة اللغة مخالفة لآراء السلوكيين[68]. ونجمل وجهة نظر تشومسكي في البنيويين/السلوكيين في ما يلي:

1- اعتمد البنيويون/السلوكيون على بنية النص فحسب، في حين أضاف التحويليون/التوليديون انفعالات المتكلم التي تمكنه من انتاج جمل جديدة من صنعه.

2- الجمل لدى البنيويين/السلوكيين محدودة، بينما هي (الجمل) لا نهائية لدى التحويليين/التولديين.

3- ركز البنيويون/السلوكيون جهودهم البحثية على التحليل الفونولوجي الذي تتركب منه الجملة، أما التحويليون/التوليديون فقد انصبت بحوثهم على تركيب الجملة ذاتها؛ باعتبار أن الفونيمات والمورفيمات، تكون محدودة في أي لغة.

4- يعتبر البنيويون/السلوكيون اللغة مجموعة العادات المكتسبة والمتعلمة بطريقة آلية لا ابداع فيها، ولكنها (اللغة) لدى التحويليين/ التوليديين، تتسم بقدر عال من الابتكار؛ مما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى.

المنارة للاستشارات
ww

5- يعزي البنيويون/السلوكيون تعلم الأطفال لمفردات اللغة، إلى البيئة المحيطة بالطفل، ولعل ذلك كان من تأثير علماء النفس السلوكيين، ويرى التحويليون/التوليديون أن تعلم اللغة يحتم وجود قواعد كلية، هي التي تعين الطفل على خلق جمل جديدة من ابداعه. فالإنسان مبدع لدى التحويليين/التوليديين، وآلة جامدة عند البنيويين/السلوكيين.

6- اللغات عند البنيويين/السلوكيين تختلف ولا تتشابه في ما بينها وأن لكل لغة خصائصها المنفردة، واللغات، عند التحويليين/التوليديين جميعها، تتشابه في قواعدها المشتركة فيما بينها.

7- هدف البنيويون/السلوكيون إلى تصنيف اللغة إلى مؤلفاتها النهائية، بينما تخطى التحويليون/التوليديون ذلك إلى تفسير التراكيب اللغوية التي تسيطر وتتحكم في بناء الجمل وتراكيبها.

8- أهمل البنيويون/السلوكيون في بحوثهم اللغوية، المعنى وهو جانب في غاية الأهمية في مسألة التواصل، بينما اهتم التحويليون/التوليديون بإدراج المعنى في دراساتهم باعتباره شيئًا مهمًا في التحليل اللغوي؛ لارتباطه بالوشائج والصلات التي تجمع بين تراكيب الجمل.

ونود، هنا، الإشارة إلى أمر على قدر عال من الأهمية، وهو، أن سهام تشومسكي كانت موجهة صوب البنيويين/السلوكيين؛ ولم تكن موجهة لعلم النفس، كواحد من أهم ضروب المعرفة الإنسانية، فكثيرًا ما كان تشومسكي يتحدث عن الصلات والروابط الوثيقة التي تجمع بين علم اللغة وعلم النفس، حيث يقول: إن من أهم الأسباب التي تدفعنا إلى دراسة اللغة دراسة علمية, ودراسة النحو التحويلي خاصة, أن هذه الدراسة ذات قيمة واضحة في فهمنا وادراكنا للعمليات العقلية, ومن هنا فإن اندماج علم اللغة مع علم النفس, واتحادهما معًا إنما هو من أجل النتائج الهامة التي سيسفر عنها هذا الاندماج وليس من أجل تغيير موضوعات علم اللغة أو مناهجه[69]. وتأكيدًا للرأي السابق نجد أن تشومسكي قد اشترك مع عالم النفس جورج ميلر(George Miller) في كتابة بحث عنوانه (اللغة ذات الحالة المحدودة)، وأيضًا شارك ميلر في كتابة فصلين في كتاب (دليل علم النفس الرياضي)، ولتشومسكي فصل خاص دونه منفردًا في ذات الكتاب، إذًا

المنارة للاستشارات
ww

لا يمكن القول بأن تشومسكي كان يعادي علم النفس بشكل مطلق، وإنما صوب سهام نقده لمدرسة بعينها (السلوكية) من بين مدارس علم النفس، وفي موضوع بعينه، ألا وهو مفهوم اكتساب المعرفة اللغوية.

ـ خاتمة البحث:

بعد هذه الرحلة، غير القصيرة، مع كل من المدرستين، البنيوية والتحويلية، يصل البحث إلى نقطة الختام، والتي تركزت حول نقاط الاختلاف بين أنصار المدرسة البنيوية/السلوكية والمدرسة التحويلية/التوليدية، فالتوليديون يحاولون أن يثبتوا خطأ نظرية التصورات البنيوية للنحو، لاسيما وأن البنيوية لا تعترف بوجود أدوات نحوية مطلقًا، بينما التحويلية/التوليدية تفترض وجود أدوات نحوية تسميها بالتحويلات النحويّة، تنحصر مهمتها في ربط وتبيين العلاقة بين الجُمل، بل وتعتبر هذه التحويلات في غاية الأهمية، وضرورية جدًا لتقديم وصف كامل لكثير من الجمل[70]، ومن هنا نمت بذور الخلاف وجذوره، وتوجد، كذلك، مظاهر اختلاف أخرى نجملها في ما يلي:

أ/ النتائج:

خلصت الدراسة إلى وجود عدد من نقاط الاختلاف بين المدرستين، يمكن تقديمها، باختصار، في النقاط التالية:

- إن عدد الجمل في أي لغة غير متناه، وليست لدى البنيويين/السلوكيين أي تفسير لذلك.
- البنيويون غير قادرين على شرح العلاقات والروابط التي تنشأ بين الجمل.
- قد تحمل الجملة أكثر من معنى نحو: (إن سجن الملك كان عادلاً)، هل سَجن الملك أحد الناس، أم أن الملك نفسه سُجن؟.
- يهتم التحويليون/التوليديون ببناء وتركيب الجمل، بينما يركز البنيويون على النصوص.
- يولي التحويليون/التوليديون الحدس والتخمين والاختبار عنايتهم، بينما ويوليها البنيويون/السلوكيون لوسائل الاستكشاف.

المنارة للاستشارات
ww

- يرى التحويليون/التوليديون أن اللغات تتشابه على المستوى القاعدي المشترك والعميق، بينما لكل لغة بنيتهاالخاصة بها لدى البنيويين/السلوكيين.
- يهتم التحويليون/التوليديون بالمعنى، بينما يهمله البنيويون/السلوكيون.
- استهدفت دراسة التحويليين/التوليديين القواعد النحوية الخفية لبناء الجمل، أما البنيويون/السلوكيون فقد ذهب تركيزهم إلى العناصر اللغوية في اللغة التي يدرسونها.
- لقد نظر البنيويون/السلكيون إلى اللغات كأنظمة تتألف من أنماط من الأصوات والكلمات، وقاموا بدراسة هذه الأنماط بهدف معرفة البناء اللغوي لكل لغة منفردة، إذ اعتقدوا أن لكل لغة بنيتها المميزة لها ولا يمكن مقارنتها ببنية أيَّة لغة أخرى.

ب/ التوصيات:

ليست لدينا من شك في أن هناك الكثير نقاط التلاقي بين ثلاثة فروع أو علوم، تعد من أهم العلوم الإنسانية، ألا وهي: اللغة، لاسيما علم اللغة، والسلوك، وهو الميدان الفسيح لعلم النفس، والفلسفة، وهي أم المعارف الإنسانية دون منازع أو مدافع؛ مما يمكن أن يشكل قاعدة مشتركة يمكن أن تتولد عنها العديد من الدراسات اللغوية والنظريات الفكرية التي يمكن أن تنصهر فيها الأضلاع الثلاثة، وهي: اللغة، علم النفس، الفلسفة. وعليه يدعو الباحث إلى توسيع مفهوم الدراسات اللغوية:

- من هنا تبرز الحاجة الماسة إلى المعرفة الموسوعية، وعدم التقوقع والتمترس في التخصص الواحد.
- يجب أن تتكاتف جهود علماء النفس (علم النفس المعرفي)، وجهود الدارسين والباحثين في مجال علم اللغة.
- النظر إلى اللغة باعتبارها كائن حي يحمل في أحشائه المشاعر والأحاسيس الإنسانية، وليست باعتبارها معاني جامدة ومجردة من الحس والشعور.
- الاستفادة من علم اللغة النفسي، وكذلك الاجتماعي، في الدراسات والبحوث اللغوية؛ مما سيدي خدمة عظيمة للغة ويسد ثغرات وسلمات كثيرة في مضار البحوث والدراسات اللغوية.
- الاستفادة من نظرية النحو التحويلي/التوليدي في دراسة تراكيب الجملة في اللغة العربية.

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش:

1/ أنور الجندي : الفصحى لغة القرآن ، ص : 27 ، دار الكتاب اللبناني (بيروت) .1982م

2 / مالك بدري : التفكر من المشاهدة إلى الشهود ، ص :29

[3]/ واطسون، جون برودس (1878-1958م). عالم نفسي أمريكي عرف زعيمًا لحركة ثورية في علم النفس تسمى السلوكية، وكان عمله الأول في مجال بيولوجيا وطب وسلوك الكائنات الحية الدنيا، قد دفعه إلى الشك في وجود العمليات العقلية التي يدعي علماء النفس دراستها، وأخذ على عاتقه مهمة تقديم تفسير لسلوك كل من البشر والحيوانات في إطار بدني وفسيولوجي خالص وذلك في كتابه علم النفس من وجهة نظر عالم سلوكيات.

[4]/ إيفان بافلوف، بتروفيتش (1849- 1936م)، روسي تخصص في علم وظائف الأعضاء، ونال جائزة نوبل في نفس التخصص 1904، وظل بافلوف يدرس عمل الدماغ؛ مما ساعده على التوصل إلى أنه يمكن لتكرار ترابط مثير صناعي، مثل الجرس، أن يقوم مقام المثير الطبيعي مثل الطعام في إحداث رد فعل فسيولوجي متمثل في سيلان اللّعاب. وأطلق على هذا اسم المنعكس الشرطي.

[5]/ نيكولاي شوفاسو: نعوم تشومسكي مافائدة اللغة؟، ص: 124، مجلة الدوحة القطرية، العدد: 134، ديسمبر 2018م.

[6]/ الموسوعة العربية العالمية اصدار 2004م.

[7] / العقاد : اللغة الشاعرة ، ص :16 ، مكتبة غريب (القاهرة).

[8]/ حسين حمدي الطوبجي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، ص: 22، دار القلم (الكويت) 2001م.

[9]/ سناء جميل: عندما يتأخر كلام أولادنا، ض: 172، مجلة العربي، العدد: 532، مارس2003م، الكويت.

[10]/ أبو السعود أحمد الفخراني: في علم اللغة العام، مكتبة المتنبئ، الدمام- السعودية) 2007م

[11]/ أبو السعود أحمد الفخراني: في علم اللغة العام، ص: 10، مكتبة المتنبئ، الدمام- السعودية) 2007م

[12]/ حسين حمدي الطوبجي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، ص: 22، دار القلم (الكويت) 2001م.

[13] / عبد الله العليان: من صراع الحضارات إلى تعايشها، مجلة العربي (الكويت)، ص: 23العدد: 532، مارس2003م

[14]/ إسماعيل بن حماد الجوهري: مختار الصحاح، مادة: ل غ و.

[15]/ الموسوعة العربية العالمية، اصدار 2004م.

[16]/ الموسوعة العربية العالمية.

المنارة للاستشارات

ww

[17]/ الموسوعة العربية العالمية..

[18]/ الموسوعة العربية العالمية اصدار2004م.

[19]/ دى سوسير: فصول في علم اللغة العام، المترجم: أحمد نعيم الكراعين، ص: 4، الإسكندرية 1985م.

[20]/ علي محمود مزيد: علم اللغة العام في الفكر الغربي، ص: 80، 1978م

[21]/ أبو السعود أحمد الفخراني: في علم اللغة العام، ص: 50، مكتبة المتنبئ، الدمام- السعودية) 2007م

[22]/ أبو السعود أحمد الفخراني: في علم اللغة العام، ص: 63مكتبة المتنبئ، الدمام- السعودية) 2007م

[23]/ محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص: 51، دار الثقافة (القاهرة) 1973م.

[24]/ نوال محمد عطية: علم النفس اللغوي، ص: 37، (القاهرة) 1975م.

[25]/ محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص: 49، دار الثقافة (القاهرة) 1973م.

[26]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:19.

[27]/ محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص:50، دار الثقافة (القاهرة) 1973م.

[28]/ عبد الواحد وافي: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة المتنبئ، (الدمام – السعودية) 2012م.

[29]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:121.

[30]/ جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص:54، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية (بيروت) 1985م.

[31]/ الموسوعة العربية العالمية 2002م.

[32]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:156.

[33] / سوسير هو ابن لعالم بارز من علماء التاريخ الطبيعي، وجد، في صغره، العناية والرعاية من قبل عالم لغوي كان صديقًا لأسرته هو، أدولف بيكتيه، وعندما بلغ من العمر خمس عشرة سنة اتقن العديد من اللغات: اليونانية، الفرنسية، الألمانية، الإنجليزية، واللاتينية، وقد التحق بجامعة جنيف في العام1875م، حيث درس فيها الطبيعة والكيمياء بناءً على رغبة الأسرة، ولكنه، فيما بعد، تركها وانتقل إلى الدراسة في مجال اللغات بجامعة ليبزج التي كانت آنذاك مركزًا لمدرسة من اللغويين التاريخيين الشبان عُرفت باسم النحويين الجدد، وفي ليبزج تمكن من التعرف على أشهر اللغويين المبدعين في عهده. نشر سوسير عمله المعروف باسم (تقارير عن النظام الأساسي للحركات في اللغات الهندية الأوروبية) في العام 1868م ، وقد وصف أحد اللغويين هذا العمل بأنه أشهر عمل في فقه اللغة المقارن كتب حتى ذلك اليوم.

[34] /J.P.B. Allen, Some basic concepts in linguistics. Oxford 1975

المنارة للاستشارات
ww

[35]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:17.

[36]/ علي محمود مزيد، علم اللغة العام في الفكر الغربي، ص:5، دار الكتب (القاهرة) 1978م.

[37]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:157.

[38]/ فرانز: عالم أنثروبولوجيا، كان مهتمًا بالنظام الصوتي (الفونولوجيا)، والنظام الصرفي (المورفولوجيا) في اللغة.

[39]/ سابير: هو تلميذ فرانز

[40]/ نيكولاي شوفاسو: نعوم تشومسكي مافائدة اللغة؟، ص: 125، مجلة الدوحة القطرية، العدد: 134، ديسمبر 2018م.

[41]/ عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ص:54، ج:2 ، دار صعب (بيروت).

[42] / بدري، مالك بدري: التفكير من المشاهدة إلى الشهود، ص: 22، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، (الرياض)1995م.

[43]/ إبراهيم مدكور (1320هـ-1416هـ ، 1902م - 1996م)، أستاذ جامعي مصري مختص في الفلسفة وعلوم اللغة. رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام 1974م خلفًا لطه حسين.

[44]/ إبراهيم بيومي مدكور: تاريخ الفلسفة ، ص: 19، المطبعة الأميرية (القاهرة) 1944م.

[45]/ علي محمود مزيد: علم اللغة العام في الفكر الغربي، ص: 40، 1978م

[46]/ عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، ج1، دار المعارف (القاهرة) ص: 25.

[47]/ فلهلم فونت (1832-1920م)، ولد في نيكاراو في مدينة بادن الأماني، درس الفلسفة ولكنه أسس واحدًا من أوائل معامل علم النفس التجريبي عام 1879م، واقتنع أن طرق دراسة علم النفس تتضمن كل التجارب المعملية والاستبصار (الملاحظة النفسية).

[48]/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص:159.

[49]/ هيلمولتز، هيرمان لودفيج فرديناند فون (1821-1894م)، ولد في بودابست. فيزيائي ألماني، ساعد في إثبات قانون حفظ الطاقة، قدرت أبحاثه في الصوت كأبرز عمل في مجال السمعيات في ذلك الوقت، وكان أول من طبق الطرق الفيزيائية على دراسة الجهاز العصبي عن طريق قياس سرعة النبضات العصبية.

[50]/ الموسوعة العربية العالمية، إصدار: 2004م

[51]/ ديكارْتْ رينيه (1596-1650م) فيلسوف فرنسي، ولد في لاهاييه قرب شاتيليرو، وتعلَّم في إحدى الكُلِّيَّات اليسوعيَّة، وكان كثير السفر، وقد مكَّنته الأَموال التي ورثها والتي جاءته ممن تولوه بالرِّعاية من تكريس

المنارة للاستشارات
ww

معظم وقته للدِّراسة، وفي الفترة بين 1628 و 1649م، عاش حياة علميَّة هادئة في هولندا، حيث أنتج معظم مؤلفاته الفلسفيَّة.

[52]/ الموسوعة العربية العالمية، إصدارة: 2004م.

[53]/ تشارلز دوكنز: أعظم استعراض فوق الأرض أدلة التطور، ترجمة: مصطفى إبراهيم، ج:2، ص: 46.

[54]/ إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، ص: 10.

[55] / جون ليونز: نعوم تشومسكي، ص: 9، ترجمة: بابكر عمر عبد الماجد، المعهد الإسلامي للترجمة (الخرطوم) 1997م.

[56]/ المصدر السابق، ص: 111.

[57]/ الموسوعة العربية العالمية 2002م.

[58]/ جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص:30، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية (بيروت) 1985م

[59]/ رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص:160.

[60]/ رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص:161.

[61]/ إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، ص: 4.

[62] / جون ليونز، نعوم تشومسكي، ص:6، ترجمة: بابكر عمر عبد الماجد، المعهد الإسلامي للترجمة، (الخرطوم) 1197م.

[63]/ نيكولاي شوفاسو: نعوم تشومسكي مافائدة اللغة؟، ص: 124، مجلة الدوحة القطرية، العدد: 134، ديسمبر 2018م.

[64]/ تشارلز دوكنز: أعظم استعراض فوق الأرض أدلة التطور، ترجمة: مصطفى إبراهيم، ج:2، ص: 45-46.

[65]/ إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، ص: 20.

[66]/ نيكولاي شوفاسو: نعوم تشومسكي مافائدة اللغة؟، ص: 126، مجلة الدوحة القطرية، العدد: 134، ديسمبر 2018م.

[67]/ جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 30، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، (بيروت) 1985م

[68]/ إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، ص: 5.

[69]/ جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص:54، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية (بيروت)

المنارة للاستشارات
ww